الأنا وتمثيل الآخر في رحلة ابن حمادوش الجزائري

The self and the other representation in the journey of Ibn hamadouche Eljazayri.

يزيد بودربالة /طالب دكتوراه

أ.د. عبد العزيز بومهرة

قسم اللغة والأدب العربي، جامعة 8 ماي 1945-قالمة (الجزائر)
مخبر الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة 8 ماي 1945-قالمة (الجزائر)
bouderbala.yazid@univ-guelma.dz

تاريخ الإيداع: 2021/04/01 تاريخ القبول: 2021/10/12 تاريخ النشر: 2021/11/04

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تناول الأنا وتمثيل الآخر في رحلة عبد الرزاق ابن حمادوش، الذي انتقل من الجزائر إلى المغرب الأقصى في القرن الثاني عشر للهجرة(الثامن عشر ميلادي)، وحرص على تصوير المغربي -وفق رؤيته الخاصة- من جوانب عدة، فامتدح بعضها وانتقد البعض الآخر، واكتفى في المقابل بسرد بعض الأمور المتعلقة بالمغربي دون إطلاق حكم واضح حيالها، من هنا سعينا إلى إبراز الصورة المقدمة لهذا الآخر اجتماعيا ودينيا وسياسيا وعلميا.

الكلمات المفتاحية: الأنا، الآخر، رحلة ابن حمادوش، المغرب الأقصى، القرن الثاني عشر للهجرة.

Abstract:

This study aims at dealing with the self and the representation of the other in the journey of Abd Errazak Ibn Hamadouche.The latter moved from Algeria to Morocco in the twelfth century hijri(eiteenth ad)¸and he insisted on depicting the Moroccan according to his own vision from different sides; he complimented some of them and criticized others.On the other hand¸he just reported some issues related to the Moroccan without making aclear judgement about them.Hence¸we sought to show the image presented to this ˈotherˈsocially¸religiously¸politically¸and scientifically.

key words: the self¸ the other¸ Ibn Hamadouche journey¸ Morocco¸the twelfth century.

تمهيد:

إنّ العربي شديد التّعلق بالرّحلة، لا يكاد يركن ويستقر بموضع، إذ كان دائم الارتحال تدفعه إلى ذلك عدة عوامل، وهذا ما يُفسر كثرة الرّحلات في التاريخ الإسلامي؛ فالمكتبات العربية تزخر بمئات الرحلات المدونة والتي خلّدت تجارب أصحابها، ومعلوم أن شغف المغاربة بالرحلة يفوق كل الحدود متفوقين بذلك على أقرانهم المشارقة، فقد سيّر سكان الشمال الإفريقي عامة والجزائر خاصة عشرات الرحلات-فردية وجماعية- باتجاه أصقاع ومناطق جغرافية عدة، قريبة وبعيدة نائية.

واشتهر في هذا القطر الإسلامي مجموعة من الرحالة الكبار، وعلى رأسهم شيخ الرحالة العرب ابن بطوطة، والعبدري، والعياشي، والورثيلاني، وابن حمادوش وغيرهم كثير، غير أن هذا الأخير يُعد من بين أبرز الرحالة الجزائريين، إذ ترك لنا مدونة رحلية والمسماة لسان المقال في النّبإ عن النّسب والحسب والحال* يحكي فيها وقائع ومجريات انتقاله إلى بلاد المغرب الأقصى، وصور فيها لقاءه وتماسه مع الآخر المغربي، وتطرق إلى بعض الجوانب الاجتماعية والدينية والسياسية والثقافية لسكنة بعض المناطق المغربية التي حلّ بها. فشُيدت رحلته من خلال ذلك التقابل- الصريح حينا والضمني أحيانا أخرى- بين الأنا الجزائري ممثلا في الرحالة والآخر المغربي. من هنا نتساءل:

ما مفهوم الرّحلة؟ وماذا نقصد بالأنا والآخر؟ وما موقف ابن حمادوش من الآخر المغربي الذي لقيّه؟ وهل رسم الرحالة صورة إيجابية أم سلبية لهذا الآخر؟

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

1-مفاهيم رئيسة:

إنّ هذه الدراسة تقوم على مجموعة من المصطلحات الرئيسة، لذلك ارتأينا تقديم مفاهيم لها وذلك لتجنّب أي لبس وغموض قد ينجر عن استخدامها، ومن هذه المصطلحات نذكر:

أ- أدب الرحلة:

جرى تعريف هذا المصطلح في مجموعة من المعاجم والقواميس العربية، إذ نجد بعض المفاهيم اللغوية والإصلاحية له:

أ.1-لغة:

عُرّفت الرحلة في مجموعة من القواميس اللغوية العربية، ومن ذلك ما أورده الفيروز آبادي في قاموس المحيط إذ يقول: " الرّحْلُ: مرْكَبٌ للبعير، كالراحُولِ،ج أرْحُلٌ ورِحالٌ...وارتحل البعير؛ سار ومضى والقوم من المكان انتقلوا، كتَرَحَّلوا : والاسم: الرُّحلة بالضم والكسر، أو بالكسر الارتحال، وبالضم؛ الوجه الذي تقصده"[1]

في حين عرّفها ابن منظور بقوله: "رحل: الرَّحْلُ: مركب للبعير والنَّاقة وجمعه أَرْحُلٌ ورحال... يُقال: رَحَلَ الرجُلُ إذا سار، وأرْحَلْتُه أنا. ورجلٌ رحول وقومٌ رُحَّلٌ أي يرتحلون كثيرا، ورجلٌ رحّالٌ؛ عالم بذلك مجيد له...والترَّحُلُ والارتحال: الانتقال، وهو الرِّحلة والرُّحلة. والرّحلةُ: اسم للارتحال للمسير، يُقال: دنت رحْلتنا. ورحل فلان وارتحل وترَحّل... وقال بعضهم: الرِّحلة والارتحال والرُّحلة بالضَّم؛ الوجه الذي تأخذ فيه وتريده"[2]

من خلال التعريفين السابقين يمكن القول إن الرحلة هي انتقال، وسير، ومُضي من موضع إلى آخر، سواء أكان قريبا أم بعيدا، وهذا ما تكاد تتفق عليه جل المعاجم اللغوية العربية.

أ.2-اصطلاحا:

معلوم أن الرحلة نص منفتح على كل الميادين فهي ملتقى حافل لتقاطعات حيوية؛ إذ نجد فيها العنصر الأدبي، والجغرافي، والسياسي، والديني، وغيرها من المكونات التي تحضر بنسب متفاوتة في سرود الارتحال القديمة، هذا ما يجعلها عصيّة عن التّعريف كما أقر بذلك شعيب حليفي**، فليس من السهولة الوصول إلى تعريف يُحظى بالقبول لدى جميع الدارسين والباحثين المهتمين بالرحلة، فكل من المؤرخ والأديب ودارس اللاهوت وعالم الاجتماع ينظر إلى هذا النوع الأدبي من زاوية تخصصه واهتماماته.

كما أننا نشهد عددا هائلا من أنواع الرحلة عند العرب؛ منها ما يطغى عليه الجانب الأدبي ومنها ما يطغى عليه الجانب الجغرافي وهكذا، وهذا ما يُصعّب أمر الاهتداء إلى تعريف جامع مانع لها، لذلك وجب أن نراعي مدى حضور المهيمن عندما نروم تقديم أي مفهوم لأدب الرّحلة، وبما أنها تهمنا في جانبها الأدبي فسنحاول تقديم تعريف يُقرّب الرّحلة من حقل الأدب ويدنيها.

فمن التّعاريف التي قُدمت لأدب الرّحلة أنها: "مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد"[3]، فأدب الرحلة عبارة عن تدوين الرحالة للمشاهد المختلفة التي اعترضت

سبيله في أثناء انتقاله، وإقامته في المناطق التي وطئتها قدماه وأبصرتها عيناه، وذلك بالتطرق إلى الجانب العلمي، والجغرافي، والاجتماعي، والديني، والسياسي للشعوب المرتحل إليها.

في حين عرفها سعيد علوش في معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر بقوله: "أدب الرحلات أدب يدخل في درس الصورولوجية؛ أي دراسة صورة شعب عند شعب آخر ...ويتتبع أدب الرحلات عادات وتقاليد وتأثيرات إقليمية"[4] أي سرد الرحالة لكل الجوانب المتعلقة بالآخر، وهو نوع أدبي متفرد بسماته عن باقي الأنواع الأدبية الأخرى، برع فيه العرب وتركوا مدونات كثيرة تحكي تجارب انتقالهم إلى قارات العالم المختلفة، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على المقدرة الفذة للعرب في فن القصة التي طالما اتُهموا بالتقصير والعجز فيها.

ب- الأنا:

يُستخدم مصطلح الأنا في عدة حقول ومجالات معرفية كعلم الاجتماع والفلسفة وعلم النفس وغيرها، وعُرّف على أنه " تعبير يعني الذات الواعية، وقد يُستخدم المصطلح ليشير إلى تلك السمة أو ذلك المكون من مكونات الشخصية الذي يُسيطر بأكثر الطرق مباشرة وفورية على الفكر والسلوك، فهو الأنا التي تشعر وتفكر وتميز الشخص عن الذوات الشخصية الأخرى"[5] أي أنها تمييز للذات عن الغير، وتُعد الأنا نقطة مركزية يتحدد من خلالها الآخر أو الهو المفارق للأنا والمختلف عنها، وقد يكون هذا الاختلاف في المعتقد، أو اللغة، أو الفكر، أو الجنس، أو غير ذلك، ويمكن أن يكون الاختلاف في كل ما تقدم ذكره، وتحديد الأنا مرتبط بوعي صاحبها لذاته وللآخر المقابل له.

ج-الآخر:

الحديث عن الأنا يستدعي بالضرورة الحديث عن الآخر؛ فهما متلازما الحضور، فلا وجود ولا قيمة لطرف في غياب الطرف الثاني، ولا سبيل للفصل بينهما، وقد عُرّف الطرف الثاني من الثّنائية بالآتي: " الآخر في أبسط صوره هو مثيل أو نقيض الذات أو الأنا، وقد ساد كمصطلح في دراسات الخطاب...ولا شك أن مفهوم الآخر يتأسس على مفهوم الجوهر؛ أي أنّ ثمة سمة أساسية جوهرية تحدد الذات، مما يجعل الآخر مختلفا عنها، وبالتالي لا ينتمي إلى نظامها"[6] معناه نفي صفة التشابه والتطابق بين الأنا والآخر، فشرط الاختلاف هو الذي يحكم و يميز هذه الثنائية.

تجدر الإشارة أنه لا وجود لترسيم نهائي يفصل بين الأنا والآخر، فهذه الثنائية تعيش مدا وجزرا، فالأنا أنوات والآخر ليس واحدا ووحيدا، بل يشهد تعددا وتنوعا، تبعا لوعي الأنا بذاتها وبآخرها.

فإذا نظرنا بمنظار ديني فالآخر هو الكافر بالنسبة للمسلم، لكن قد تكون المرأة والأسود والشيعي وغيرهم في لحظة من اللحظات آخرا بالنسبة للرجل والأبيض والسّني وهكذا دواليك، ومعلوم "أن الشرط الرئيسي لوجود الآخر هو أن توجد الذات أولا، ووجود الذات يستلزم الوعي بها، وهذا الوعي يقتضي الوعي بالآخر بالضرورة، وبما أن الذات ليست جوهرا ثابتا فإن الآخر كذلك ليس ثابتا، بل هو مفهوم نسبي يتحدّد على معايير متباينة ومتغيرة، فقد يتحدد على أساس شخصي بحيث يكون كل شخص سواي هو آخر بالنسبة لي، وقد يتحدد على أساس قَبَلي أو ديني أو قومي وهكذا بحيث يكون الآخر هو من يختلف عنا في الشخصية أو القبيلة أو الدين أو القومية، وهو بذلك مفهوم متحرك ومتغيّر بصورة دائمة، فما كان آخر في وقت سابق قد ينقلب ليكون جزءا من الذات في وقت لاحق، وهذا يعني أنّ مجال الآخرية مجال متحرك، وهو في تقدّمه في الزمن لا يسير بالضرورة وفق مسار خطّي لا يشذّ ولا يحيد ولا يتراجع"[7]

وعليه فمن الخطأ الاحتكام إلى الدين فقط لتحديد هذا الآخر؛ فليس الكافر البعيد وحده ما يُقابل الذات ويختلف عنها، ونحن نعلم أن العالم الإسلامي من أكثر البقاع تنوعا دينيا وثقافيا، فقد تفرّق المسلمون إلى مذاهب وطوائف عدة، وانقسم العالم الإسلامي -والذي كان في يوم من الأيام بنيانا واحدا وتحت راية واحدة ويتم التحكم فيه وإدارتُه من مركز الخلافة بالمشرق خاصة زمن الحكم الأموي والعباسي -إلى دول، فأصبح المغربي آخرا بالنسبة للجزائري، والتونسي آخرا بالنسبة للمصري وهكذا، إنّ الذي نود قوله أن الآخر قد يكون من نفس الملة، ويتحدث نفس اللغة، ونعيش معه في منطقة جغرافية واحدة أي آخر قريب، كالشيعي، والخارجي، والزنجي، والمرأة وغيرهم، في حين قد تتسع دائرة الأنا ويصبح الكافر واليهودي والنصراني آخرا للذات المسلمة.

وهذا الآخر سواء كان مسلما أو يدين بديانة أخرى فحضوره ضروري، لأن التواجد الأحادي غير ممكن، "فالشخص كائن قائم بذاته ولذاته، ولكنه كتفكير ليس فردا معزولا عن الآخر، أو بالأحرى لا يمكن الإقرار به وبكيانه إلا مع الآخرين، حتى تتحقق الغايات والمشاعر والمواقف المشتركة والمعاني المختلفة كالحزن والفرح والعداوة والتسامح، فهذه المعاني لا تأخذ مكانها إلا داخل الارتباط الكياني بالآخر أو الغير، فكل تلك المقومات لا يصبح لها معنى ولا تؤدي وظائفها إلا بوجود هؤلاء الغير...فتحقق الوجود الإنساني مرهون بحضور ذوات إنسانية أخرى ذوات الغير، فلا يمكن لأي أنا أن تعيش بمعزل عن آخرين حتى تتحقق ذاته والوعي بها، فحضور الغير مسألة

أساسية وضرورة ملحة بالنسبة للأنا"[8] فالذات تتعرف على نفسها من خلال الهو/الغير، فهو مرآة ننظر من خلالها إلى ذواتنا.

2- الأنا والآخر في أدب الرحلة:

الرحلة هي فن اللقاء بالآخر إن صح القول، فجل الرحالة نجدهم حريصين على تصوير كل الجوانب المتعلقة بهذا الآخر المرتحل إليه، وكل نص يتضمن بالضرورة "رؤية وخطابا ويعكس بشكل واضح الأنا التي لا توجد بدون الأنت والآخر، وحينما يكون هذا النص رحلة فإنه يرتبط بفضائين متعددين وزمن ممتد يجعل النص حافلا بأبعاد سيرية بيوغرافية، تراجمية ومناقبية، يتفاعل لبناء صورة الأنا وصورة الآخر...وإذا كانت النصوص التعبيرية لا تخلو من حضور الذات بصيغة ما، فإن الرحلة تستحضرها بشكل خطي وعمودي بجانب الآخر، هذا الأخير هو أفكار وقيم وعادات وثقافة"[9] تميزه وتمنحه خصوصياته لذلك يحرص الرحالة الوافد على تبيان الفروقات بين ثقافته وثقافة الآخر المسافر إليه.

وتختلف طرق تقديم واستحضار الآخر في سرود الارتحال؛ فمرة نجد الراوي (الرحالة) يتوارى ويحتجب تاركا الفرصة للآخر ليقدم نفسه وذلك باستحضار صوته، في حين نجد في مدونات رحلية أخرى أنّ الرحالة هو الذي يتولى تقديم وتمثيل الآخر سرديا.

والمدونات الرحلية أثبتت أن الرّحالة صوروا واحتكوا بآخرين متعددين، "فصحيح أن للإنسان العربي آخره كما لكل إنسان، لكن هذا الآخر لم يكن واحدا ثابتا لا يتغيّر منذ فترة ما قبل الإسلام حتى العصر الحديث، بل إن تاريخ العربي يكشف أن لكل عصر آخره الذي قد يدخل لاحقا في دائرة الذات، وذلك تبعا للتوافق الذي قد يطرأ بين الذات والآخر على مستوى الدين أو اللغة أو الثقافة أو غيرها...إن حركة الآخرية منذ عصر ما قبل الإسلام كانت تسير في اتجاه يبدأ من التعدد الداخلي إلى التعدد الخارجي إلى الآخر المفرد، فقد كانت القبيلة أو العشيرة أو الطائفة تمثّل حدود الذات الجماعية بالنسبة للإنسان العربي، وعلى هذا فإن الآخر بالنسبة لهذا الإنسان هو بقية القبائل الأخرى المجاورة أو البعيدة"[10]

ومع ظهور الإسلام بدأت حدود الذات في الاتساع والامتداد، فغدت العروبة والإسلام من أكبر الدوائر التي يمكن أن ينضوي تحتها الفرد، لكن الرّحالة لم يصوروا الآخر المخالف في الملة فقط، فالرحلات تحفل بآخرين كُثر؛ إذ يمكن أن تحوي الرحلة الواحدة آخرين متعددين فمثلا ابن بطوطة في رحلته لقيّ الآخر المشرقي واليهودي والنصراني والأسود والهندي وغيرهم.

وبما أن "الاعتراف بشرعية الاختلاف بين البشر هو أحد روافد تشريع العلاقة مع الآخر على قاعدة التواصل والحوار والتعارف، وانطلاقا من هذا الأساس نستطيع القول إن في الوجود الإنساني آخرا دينيا، ومذهبيا، وقوميا.وعرقيا، وجغرافيا، واجتماعيا، وثقافيا، وسياسيا؛ فتتعدد دوائر الآخر وتتنوع مستوياتها بتعدد دوائر الأنا ومستوياتها، ويختلف تحديد الآخر تبعا لموقع الناظر إليه؛ أي أن الموقع الذي يحدده الإنسان لنفسه الفرد أو الجماعة هو بدوره الذي يحدد الآخر القريب والبعيد، فباختلاف المواقع يختلف الآخر"[11] لذلك تشهد سرود الارتحال حضورا كثيفا للآخرين، لكن هذا لا ينفي أن يوجد في الرحلة الواحدة آخر محوري وآخرين يُشِعُون بدرجات أقل في ثنايا السرد.

3- أهمية أدب الرحلة عند العرب:

فعل الارتحال ملازم للإنسان من لحظة الميلاد إلى تاريخ الفناء، فالفرد توّاق دائما إلى ارتياد المجهول بحثا عن الجديد وكل ما من شأنه أن يشبع فضوله ويجيب عن أسئلته، وهذا الانتقال والسفر خير وسيلة لاكتساب المعارف، ومعرفة موقع الذات من هذا العالم، لذلك فليس السفر فعل مرحلي زمني يحضر في زمن دون آخر، فالعربي منذ القديم إلى اليوم في رحلة دائمة، فكل حاجات الإنسان تقتضي منه التنقل، فمثلا إذا ما أراد لقاء المشايخ والعلماء أو تحصيل قوته وضمان استمرارية حياته فلابد له أن يرحل، فليس هناك أي إمكانية تجعله راكنا مستقرا ينتظر لقاء مصيره، خاصة وأن الدين الإسلامي خاطب المنضويين تحت لوائه بالخروج للتبصر في آيات الخالق عز وجل وبدعوة الأمم الضالة إلى التوحيد وغير ذلك، "فميل الإنسان إلى الاستطلاع، ورغبته في السيطرة على العالم الخارجي دفعاه منذ أقدم الأزمنة إلى التنقل والرحلات، فاندفع من إقليمه إلى الأقاليم المجاورة يكتشف آفاقها، ويرتاد مجاهلها، وكانت له في كل عهد من العهود سفرات ومغامرات"[12] من العصر الجاهلي إلى العصور اللاحقة (إسلامي، أموي، عباسي..).

وبما أن العربي حرص على تخليد تجاربه الرحلية، فقد عمد أغلب الرحالة إلى تدوين ما شاهدوه وعاينوه في تنقلاتهم، فتركوا لنا مدونات كثيرة غنية بمعلومات وفيرة، إذ حوت "صور وتقارير وافية عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعمرانية للعرب ومن جاورهم من شعوب آسيا وإفريقيا وشطر من أمم أوروبا: كذكر المعالم الآثرية، ودرس العلاقات الاقتصادية، ووصف الممالك والبلدان، والأصقاع والأقطار، والمسالك والطرق"[13] بالإضافة إلى أنها تزخر بمادة أدبية وفيرة، إذ يمكن أن تحوي وصايا، أمثال، حكم وغير ذلك، "ويشتمل الخطاب الرحلي على معارف متنوعة دينية وتاريخية وجغرافية وإثنوغرافية وأدبية...وتتداخل فيه خطابات مختلفة: الشعر والرسالة والحكاية والوصف والسرد...وهذا ما يجعله جنس الأجناس أو محصلة

الأجناس"[14] ويستفيد منه كل من الأديب ورجل السياسية وعالم الاجتماع وغيرهم، نظرا لتعدد مضامين أدب الرحلة وغنى موضوعاتها، فهي توفر مادة معرفية وعلمية وأدبية لكل الباحثين في شتى التخصصات والميادين.

4- الأنا والآخر المغربي في رحلة لسان المقال في النّبإ عن النّسب والحسب والحال لابن حمادوش:

انتقل الرحالة ابن حمادوش من الجزائر إلى المغرب الأقصى في القرن الثاني عشر للهجرة طلبا للعلم والتجارة، وأثناء تواجده فيه رصد مجموعة من الأخلاق والعادات والمشاهد المختلفة التي ميزت الآخر المغربي*** المرتحل إليه، هذا الأخير حامل لنفس الملة ويتحدث بلسان عربي لكنه يختلف في بعض العادات والصفات والسلوكيات عن أنا الرحالة الجزائري بحكم البعد الجغرافي وخصوصية كل طرف، فركز ابن حمادوش سرده على هذا المغربي ممتدحا إياه حينا وناقدا له حينا آخرا، مع حرصه على تقديم صورة له في جميع الجوانب (اجتماعيا، دينيا، سياسيا، علميا).

وينبغي التنويه أن سبب تركيزنا على الآخر المغربي دون غيره يرجع إلى كون ابن حمادوش الجزائري استغرق جل سرده الرّحلي حول هذا الأخير، فالمغربي كان آخرا محوريا رئيسا بنى عليه حكيه، ولم يتطرق إلى أي آخر عداه إلا بصورة عابرة، واكتفى بالحديث عن الآخر النصراني واليهودي والعثماني (التركي) بإيجاز، ولم يُبدِ أي موقف منهم، ولا أي علاقة معهم، لأنه لم يحتك بهم احتكاكا واضحا، كما أن الفرصة لم تكن متاحة له للقاء آخر متنوع، خاصة وأن رحلته كانت داخلية قريبة من موطنه (الجزائر)، والمدة الزمنية للرحلة قصيرة، ولو كان الحيز الجغرافي الذي تنقل فيه الرحالة يموج بآخرين متعددين بشكل بيّن لأمكننا الحديث والتطرق بتوسع أكبر إلى هذا الآخر المتنوع في هذه الدراسة، فليس ثمة احتفاءً كبيرا من قِبَل الرّحالة بالحديث عن النصراني واليهودي والعثماني وغيرهم والذي يمكن أن يقابلوا ويكونوا آخرا بالنسبة لابن حمادوش العربي المسلم، كما أن الرحلة كانت إلى بلد الآخر المغربي فقط، فابن حمادوش لم يتجه إلى الهند أو إلى دار الكفر، أو إلى بلاد السودان جنوبا، فوجهته كانت المغرب الأقصى ثم عاد أدراجه، لذلك فأمر طبيعي أن يكون تماسه مع المغربي بكثرة مع حضور محتشم لغير المغربي في ثنايا سرده الرّحلي.

أ-الآخر اجتماعيا:

تطرق الرحالة إلى بعض الظواهر الاجتماعية في المغرب، فمثلا نجده يتحدث عن تلك الرسوم والضرائب (المكس) التي فُرفضت عليه ومن ذلك قوله: "وكانت عادة قبيحة بتطاون ابتدعوها؛ إنهم يأخذون كل ما معك ويحملونه إلى دار العشر...ثم يتخلصون إلى أكل أموال الناس بالباطل،

فيفتحون كل ما معك ويأخذون خمسة لكل مئة مكسا، وتدفع من يدك زائدا على الخمسة أجرة العدول والعساس والحمال والقوافي.."[15]

أعاب ابن حمادوش هذا الصنيع والمتمثل في ظاهرة المكس عن الآخر المغربي، فهو يرى في هذه الرسوم أكلا لأموال الناس بالباطل، خاصة وأن الرحالة لم يكن يعيش وضعا ماديا مريحا، فالفاقة والفقر دفعاه إلى الانتقال للتجارة والتكسب، لذلك انتقد هذا التضييق الذي يُفرض على الوافدين والقاطنين بهذه المدينة، حتى أنه تهرب من دفع هذه الضرائب. يقول: "فلما حان السفر ذهبت إلى الشيخ سيدي أحمد الورززي فكتب أن لا يُتعرض لي في شيء، وقال...إن هذا اجتمعت فيه ثلاث خلال كل واحدة منها لو انفردت لأوجبت عليك أن لا تعرض له في شيء؛ الأولى النسب، رجل شريف من آل بيت النبوة، الثانية أنه رجل عالم، الثالثة قلة ذات اليد، فعفى عني وسامحني بعد أن طلب مني أن أحصي له ما عندي"[16] وعليه فقد طلب أن يُتوسط له حتى لا يدفع متحججا بنسبه الشريف، وعلمه الغزير، وقلة ماله.

وتكشف لنا الرّحلة في بعض مقاطعها عن الوضع النفسي السيء لابن حمادوش، فهو لم يستطع الاندماج مع الآخر المغربي اندماجا يُنسيه آلام البعد عن أهله ووطنه، يقول: "رجعتُ كئيبا محزونا لقلة ذات يدي لأن كل ما عندي سلعة كاسدة لا يمكن أن يُؤخذ منها خبزة، وكثرة المطر وقلة ما يباع واشتغال الناس بشؤونهم واجتماعهم وغربتي، فقلت منشدا:

لقد كنت قبل اليوم اصبر صابر وها أنا في هذا الأوان ذليل

أنوح على بعد الديار صبابة نواحى الثكالى تحسبني جميل "[17]

فقد استبد الحزن بالرّحالة، فلا مال له يعيل به نفسه، وأصبح يرى نفسه ذليلا في ديار الآخر يبكي كبكاء الأم المفجوعة بفقد ابنها، فثمة إحساس بالغربة انتابه بعد انصراف الناس عنه وبقائه وحيدا كئيبا.

حتى أنه راح يستذكر ما عناه في تنقله إلى المغرب الأقصى بعد عودته للجزائر، فالرّحالة مرّ بتجربة تركت في نفسه أثرا بليغا، بعد أن عايش مجموعة من الحوادث وشهد بعض الأزمات، يقول: "تعبت في السنة الماضية في المغرب من مرض وخسارة وضيق، ولم أر قط ما رأيت فيه من ضيق العيش والخسارة، والعياذ بالله، حتى أيقنت الهلاك"[18] يبدو من خلال هذا المقطع أن الضرر الذي ألحقته هذه الرحلة بابن حمادوش أكبر من نفعها، إذ خسر ماله ومرّ بأوقات عصيبة، وأصبح عليلا في بلاد المغرب، وربما نادما على خوضه لهذه التجربة التي كادت أن تكلفه حياته.

ونجده في موضع آخر من الرحلة يتطرق إلى بعض عادات أهل فاس، فيقول: "ثم إن البلاد فرحت كلها وازينت يوم الخميس، إلا أن زينتهم بثياب ملبوس النساء، يعلقون القفاطين والمحارم وغيرها من حزوم حرير وما تيسر، بخلاف زينة بلادنا"[19] يروم الرحالة هنا الدخول في نوع من المقابلة بين الأنا الجزائري والآخر المغربي ممثلا في سكان مدينة فاس بقوله (بخلاف زينة بلادنا)، إذ يذكر أنهم يتزينون بلباس النساء من قفاطين وحرير وغيرها، وهذا هو أساس الرحلة إذ تقوم على المقارنة والمقابلة، "ويتم وصف الأنا والآخر في مرآة الحياة الاجتماعية لرؤية الصور المتشابهة أو المختلفة لكليهما، وأحيانا يظهر التقابل صراحة مثل بخل الآخر في مقابل كرم الأنا، وأحيانا يتم وصف الآخر وحده دون ذكر الصورة المقابلة للأنا، ولكن يمكن رؤيتها ضمنا عن طريق القلب والعكس...فالآخر هو المعلن عنه، والأنا هو المسكوت عنه، ونادرا ما يحدث العكس؛ وهو تصوير الأنا ثم فهم الآخر ضمنا عن طريق قلب الصورة وأحيانا يتم تصوير الآخر مثل محبته الغرباء دون أن يتضمن ذلك قلب الصورة عند الأنا"[20] فابن حمادوش عندما يقف حائرا مستغربا لتصرف أو ظاهرة من الظواهر يريد من وراء ذلك أن ينفي هذه الصفة عن أناه الجزائرية، فأمر طبيعي أن يستغرب الرحالة سلوك لا عهد له به في موطنه الأم(الجزائر)، لأن الإنسان مهما حاول لن يستطيع التخلي عن ثقافته وخصوصية مجتمعه في نظرته للآخر والذي يختلف دائما عن الأنا ولو جزئيا.

ويذكر بعض السلوكيات السيئة للآخر المغربي "من أقبح ما في المغرب كله حماماتهم ويبدون عوراتهم فيها"[21] فهو يتعرض لظاهرة التكشف وعدم التستر فيرى فيها أسوء ما شاهده في المغرب برمته، ولعل هذا صادر منه عن وعي ديني؛ إذ يُحرم الدين الإسلامي كشف عورات المسلم، ويبدو أن الرجل متمسك بتعاليم دينه.

وفي موضع آخر من الرحلة يتوقف عند لباس سكان فاس بقوله: "ومنها أن رجالها لا يتعممون إلى القليل وأن نساءها لهم عمائم كبار، أما من حرير فثمانية عشر ذراعا بذراع بين آدم المعلوم في الأسواق وأكثر، إما أبيض أو نصفه زبيبي ونصفه عكري، أو يتعممون بالشاش الهندي، أو بالشقة الجيدة..."[22] وعليه فهذه من المشاهد الغريبة التي لاحظها في هذه المدينة فرجالهم لا يلبسون العمامة في حين أن النسوة يرتدون عمائم طويلة، بخلاف الجزائريين إذ ينفرد رجالها بلبس العمائم دون النساء، وقد لمح الرحالة إلى ذلك بقوله: "بعد أن اختطف لبعض أصحابنا عمائمهم"[23] وهذه من بين الاختلافات التي سجلها الرحالة بين الجزائريين والمغاربة.

ب- الآخر دينيا:

حرص ابن حمادوش على تصوير الآخر المغربي في جانبه الديني، فتحدث عن احتفال سكان المغرب بعيد الأضحى بقوله: "وفي يوم السبت صنع عيد الأضحى بغتة، كان مطر غزير وسحاب ليله ونهاره إلى الضحاء أتت بينة من طنجة فصنع العيد وذهبنا إلى المصلى فخرج قائدهم في جماعته...وخطب بنا إمام نسيت اسمه، هو عظيم جامع القصبة، وكان خطيب جامع الباشا في حياته، ما رأيت غير الشيخ زيتونة مثله، جمع فيها مواعظ ورقائق وبشائر وتحذير وأغرى وأمر ونهى.."[24] فالرحالة يصف احتفال الآخر المغربي بشعيرة من شعائر الله ألا وهي عيد الأضحى، فيذكر أداءهم لصلاة العيد ويتحدث عن فحوى خطبة الإمام.

كما تحدث عن احتفال الآخر بالمولد النبوي، وكيف يستقبل المغاربة هذه المناسبة، التي يحرص أغلب المسلمين على إحيائها، إذ يقول: "وفي ذهابي له لقيت الطبالين والعياطين وآلات الطرب كلها في السوق، ذاهبين بأربعة قباب من شمع، كل واحدة من لون، أحدها خضراء وأخرى بيضاء وأخرى حمراء، والرابعة نسيت لونها، أخف مما يجعل في الجزائر عندنا"[25] بيّن الرحالة طريقة احتفالهم بالمولد وذلك بإشعال الشموع المختلفة الألوان، واستخدام آلات الطرب المختلفة، ثم يُقارن ذلك باحتفال الجزائريين، فالرحالة مهما انقطعت الصلة بموطنه يبقى يستحضره ويحاكم الآخر بثقافته الأم، فيظهر التقابل صراحة بين الأنا والآخر فتتكشف خصوصيات وميزات كل طرف، فهو يرى أن الجزائريين لا يبالغون في احتفالهم مقارنة بالآخر المغربي، وإنه لأمر طبيعي أن نجد مثل هذه الفروق بين الشعوب، لذلك فالرحالة آمن باختلاف المغاربة ولم يتعامل بكثير حدة مع هذه المشاهد.

ج- الآخر سياسيا:

صادف وجود ابن حمادوش بالمغرب قيام ثورة هناك بين حاكم تطوان أحمد الريفي والسلطان مولاي عبد الله، فحرص على توثيق هذه الحرب الأهلية التي كاد أن يذهب ضحيةً لها، فقال واصفا هذه الفتنة: "إنهم أنسوا الفتنة والهرج، ونحن قريب من المرج...وقع قتال بين العسكرين...وذلك أن الباشا أحمد بن عبد الله الريفي كثُر ماله وتجبر في نفسه وطغى على عباد الله حتى قرر المكوس كأنها سنة، ثم من تجبره أراد أن يدعي السلطنة لنفسه، فلم يمكنه ذلك لأن عادة أهل المغرب لا يطيعون إلا الأشراف، ثم أدلى بحجة وأنه شريف فعرفها كبارهم وأنها زور..."[26] فهو يتعرض لهذه الحرب وينتصر للسلطان مولاي عبد الله، ويذكر مقتل حاكم تطوان وعدد الضحايا الذي بلغ زهاء أربعة آلاف ضحية، ويتحدث عن وقع هذه الحرب عليه فيقول: "وكان أشد يوم عليّ وعلى أصحابي بفاس الجديد، دخلناها لما كثُر الهرج فسلمنا، والحمد لله، بعد أن اختطف لبعض أصحابنا عمائمهم، وردت إليهم، وفسدت السبل بينها وبين فاس البالي...كأننا كنا بثغر من ثغور الخوف"[27]

وعليه فالرحالة صوّر تردي الوضع الأمني للآخر المغربي في هذه الفترة التي شهدت صراعا على السلطة، وأوشك أن يلقى حتفه بسبب هذا النزاع، كما تحدث عن مخلفات هذه الحرب، فقد كسدت سلعته، وتعطلت كثير من أمور الحياة، وألقت هذه المحنة بظلالها عليه وربما هذا ما عجل بعودته إلى الجزائر، فراح يحمد الله على مغادرته وعودته سالما بقوله: "وحمدتُ الله على خروجي من المغرب"[28] وربما هذا دليل على أن هذه الرحلة تركت آثارا سلبية عليه جعلته يشكر الله على مفارقته لهذا البلد.

د- الآخر علميا:

سبقت الإشارة إلى أن طلب العلم من بين الأسباب التي حملت ابن حمادوش إلى الانتقال إلى المغرب الأقصى، لذلك كثُر الحديث في رحلته عن العلماء والشيوخ والأدباء الذين لقيّهم وأخذ عنهم وطلب الإجازة منهم، كالشيخ العربي بن أحمد الذي قال فيه: "شيخنا الفقيه، العلامة النزيه، المحدث المفسر، النحوي المحقق المدقق، القاضي الأعدل الموفق، الإمام المفتي الخطيب البليغ، أبو عبد الله سيدي العربي بن أحمد بردلة...آية الله عز وجل في التبحر في العلم والتصرف فيه، واستحضار نوازل الفقه وقضايا التاريخ، مجلسه كثير الفوائد، عظيم الفرائد، مليح الحكايات، وكان له قوة عارضة ومزية ذكاء مع نزاهة وديانة..."[29]

كان الشيخ العربي بن أحمد من العلماء الذين أخذ وأثنى عليهم، وللإشارة فالرحالة لم يكتفِ بالأخذ فحسب عن علماء وشيوخ المغرب بل نجده في مواضع أخرى من الرحلة يُجادل بعضهم ويُناقشهم بل وينتقدهم، كقوله في أحد المنجمين: "فسمعت أن بها منجم مشتهر بهذا الفن، واسمه سيدي محمد القسنطيني...فوجدت عنده دعوى أكبر من علمه...ولم أجد عنده من العلم ما يُغني ففارقته، ولم يتعلق قلبي به، وإنما كثرت دعوته بكثرة الكتب، أما العلم فلا أظن أنه قرأه على شيخ، وإنما يأخذه من الكتب"[30] لذلك فقد تراوحت نظرته للعلماء بين الإيجابية والسلبية؛ فمدح بعضهم وأخذ عليهم وتتلمذ على يديهم، في حين انتقص من قيمة بعضهم الآخر فشكك فيهم وانصرف عنهم.

5- الآخر النصراني واليهودي والعثماني(التّركي) في رحلة ابن حمادوش الجزائري:

تكشف الرحلة على وجود آخر ثانوي ممثلا في النصراني المقابل لذات الرحالة المسلم، إذ أشار ابن حمادوش إليه بشكل موجز، فقد تطرق إلى رفض النصارى افتداء بعض الجزائريين قائلا: "جاء أوراق من بر النصارى وأنهم لا يريدون فداء المسلمين، وخصوصا الحاج موسى ونظرائه من الرؤساء المشتهر أمرهم، فغضب أميرنا إبراهيم باشا صانه الله، وحلف أن لا تبقى كنيستهم في

الجزائر، وكانت لهم كنيسة عظيمة، إن لم يأتوا بهم بالثمن، فصولح عليهم أن تغلق الكنيسة.."[31] فهذه الفترة من التاريخ شهدت توتر العلاقة بين النصارى والمسلمين في الغرب الإسلامي، بعد تراجع قوة الدولة العثمانية وتكالب الأوربيين الصليبيين على دول الشمال الإفريقي، وبعد مرور سنوات على رحلة ابن حمادوش سقطت أغلب هذه الدول في يد الاستعمار النصراني (فرنسا، إسبانيا..).

كما سجل الآخر اليهودي حضوره في هاته الرحلة-حضورا ثانويا أيضا- كمقابل لأنا الرحالة العربي المسلم، يقول: "بلغنا خبر باي الغرب ابن المسراتي، أنه هرب لوهران، وهي في يد النصارى بسبب أوشى له ذمي كان هنا يخدمه حتى حاز تحت يده مالا كثيرا، بعث له (اليهودي) أن فر بنفسك"[32] هذا المقطع دليل على أن ثمة تواجد لليهودي في أرض الجزائر، لكن ابن حمادوش اكتفى فقط بالإشارة إلى هذا الآخر بشكل مقتضب، ولو تحدث عنه بإسهاب لسنحت لنا الفرصة لمعرفة طبيعة العلاقة بين الطرفين، ونظرة كل منهما للآخر، خاصة إذا علمنا أن اليهود والمسلمين كثيرا ما اتسمت العلاقة بينهم بالعداء.

وتحدث ابن حمادوش في رحلته عن الآخر العثماني (التركي) فقال: "دخل رجل من آل عثمان سفيرا يسمى عندهم قبجي، بات في المرسى، ومن الغد طلع راكبا وحده، لم تتوجه الاختيارية لعلمهم أن ليس تحت مجيئه منفعة"[33] فهو يسرد واقعة رفض استقبال سفير الدولة العثمانية بالجزائر فلا فائدة ترجى من قدومه حسب رأي الرحالة، خاصة إذا علمنا أن الإمبراطورية العثمانية تسلسل الضعف إليها ولم تعود تقوى على رد الاعتداءات الصليبية على دول العالم الإسلامي في هذه الحقبة الزمنية من التاريخ.

خاتمة:

وبعد هذه الجولة البحثية التي تناولنا فيها الأنا وتمثيل الآخر في رحلة ابن حمادوش الجزائري خلصنا إلى جملة من النتائج يمكن إيرادها في الآتي:

- احتواء المدونات الرّحلية العربية القديمة على آخر قريب يعيش داخل دار الإسلام كالشيعي والذّمي والزنجي والمغربي مثلا، وآخر بعيد يقطن دار الكفر كالنصراني.

- صوّر ابن حمادوش الآخر المغربي اجتماعيا وهذا بحديثه عن لباسه وانتقاده لظاهرة التّكشف في الحمامات المغربية.

- حديث ابن حمادوش عن إحياء الآخر المغربي لبعض الشعائر الدينية كعيد الأضحى، وتأكيد اختلافيته في إقامة ذكرى الاحتفال بالمولد النبوي الشريف .

- التطرق إلى الجانب السياسي للآخر وذلك بسرد الفتنة بين حاكم تطوان أحمد الريفي والسلطان عبد الله مولاي وبيان أسبابها، ونتائجها، وموقفه منها، ووقعها عليه، وتأثره النفسي بها.

- مدح بعض العلماء والشيوخ الذين أخذ عنهم والتقى بهم كالشيخ العربي بن أحمد، ونقد بعضهم الآخر كمحمد القسنطيني.

-تراوح نظرة ابن حمادوش الجزائري للآخر المغربي بين السلبية والإيجابية؛ إذ لم تكن أحكامه، وملاحظاته تسير في اتجاه واحد.

-احتواء رحلة ابن حمادوش الجزائري على آخر محوري ممثلا بالمغربي، وآخرا ثانويا وهو النصراني واليهودي والعثماني (التركي).

هوامش:

*رحلة لسان المقال في النّبإ عن النسب والحسب والحال لعبد الرزاق بن محمد بن محمد المعروف بابن حمادوش الجزائري، المولود في مدينة الجزائر سنة1107هـ-1695م، والمتوفى بها أيضا في تاريخ ومكان مجهولين، كان من أسرة تمتهن الدباغة، وعُرف بميله إلى العلوم الرياضية والطبية، فهو صيدلي وطبيب وحساب وفلكي ومنطقي ومهتم بالفقه والنحو والتصوف والأدب والتاريخ، من أشهر آثاره رحلته التي قام بها إلى بلاد المغرب الأقصى في 14فبراير 1743م وقد حوت موضوعات عديدة تهم المؤرخ والفقيه والعالم والأديب وغيرهم، إذ توفرت على أخبار: تاريخية، دينية، سياسية، اجتماعية، بالإضافة إلى قراءاته، وحياته، وبعض القصص الخرافي ونحو ذلك، وقد وصلنا منها الجزء الثاني فقط.

[1]-مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مصر،د.ط،2008م، ص626.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ص1608-1609-1610-1611.

** أديب وناقد مغربي مهتم بأدب الرحلة.

[3]- مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط2، 1984م، ص17.

[4]- سعيد علوش، مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط1، 2019م، ص635.

[5]- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين والتعاضدية العمالية للطباعة والنشر، تونس، د.ط، د.ت، ص47.

[6]- ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002م، ص21-22.

[7] نادر كاظم، تمثيلات الآخر "صورة السود في المتخيل العربي الوسيط"، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص313.

[8]- حلوز جيلالي، الأنا والآخر في فلسفة جون بول سارتر، مجلة لوغوس، الجزائر، العدد9، 2018م، ص22.

[9]- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي "التجنّس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل"، شركة الأمل للطباعة والنشر، مصر، د.ط، 2000م، ص296.

[10] نادر كاظم، تمثيلات الآخر "صورة السود في المتخيل العربي الوسيط"، ص351-352.

[11] بلال سالم طحيمر الهروط، صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، دار الثقافة، الأردن، د.ط، 2012م، ص14.

*** نقصده به سكان المغرب الأقصى فقط وليس تسمية المغربي التي كانت تطلق على كل ساكن أو من بلاد المغرب العربي الكبير.

[12]- أحمد أبو سعد، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، منشورات دار الشرق الجديد، لبنان، ط1، 1961م، ص07.

[13]- المرجع نفسه، ص05.

[14]- جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، رسالة دكتوراه، تخصص أدب جزائري قديم، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغات، 2014م-2015م، ص19.

[15]- عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، لسان المقال في النّبإ عن النّسب والحسب والحال، تح: أبو القاسم سعد الله، المكتبة الوطنية، الجزائر، د.ط، 1983م، ص31.

[16]- يُنظر المصدر نفسه، ص112.

[17]- المصدر نفسه، ص108.

[18] المصدر نفسه، ص115.

[19]- المصدر نفسه، ص94.

[20]- الطاهر لبيب، صورة الآخر "العربي ناظرا ومنظور إليه"، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 1999م، ص292.

[21]- المصدر السابق، ص94.

[22]- عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، لسان المقال في النّبإ عن النّسب والحسب والحال، ص94.

[23]- المصدر نفسه، ص97.

[24]- المصدر نفسه،ص107.

[25]- المصدر نفسه، ص84.
[26]- المصدر نفسه، ص75.
[27]- المصدر نفسه، ص97.
[28]- المصدر نفسه، ص113.
[29]- المصدر نفسه، ص44.
[30]- المصدر نفسه، ص80-81.
[31]- المصدر نفسه، ص119.
[32]- المصدر نفسه، ص253.
[33]- المصدر نفسه، ص120.

المصادر:

1- عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، لسان المقال في النّبإ عن النّسب والحسب والحال، تح: أبو القاسم سعد الله، المكتبة الوطنية، الجزائر، د.ط، 1983م.

المراجع:

1- مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط2، 1984م.

2- سعيد علوش، مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط1، 2019م.

3- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين و التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، تونس، د.ط، د.ت.

4- أحمد أبو سعد، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، منشورات دار الشرق الجديد، لبنان، ط1، 1961م،

5- ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002م.

6- نادر كاظم، تمثيلات الآخر "صورة السود في المتخيل العربي الوسيط"، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

7- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي "التجنّس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل"، شركة الأمل للطباعة والنشر، مصر، د.ط، 2000م.

8- بلال سالم طحيمر الهروط، صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، دار الثقافة، الأردن، د.ط، 2012م.

9- الطاهر لبيب، صورة الآخر "العربي ناظرا ومنظور إليه"، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 1999م.

المعاجم:

1-مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مصر، د.ط،2008م.

2-ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.

المقالات:

1- حلوز جيلالي، الأنا والآخر في فلسفة جون بول سارتر، مجلة لوغوس، الجزائر، العدد9، 2018م.

الرسائل والأطروحات:

1- جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، أطروحة دكتوراه، تخصص أدب جزائري قديم، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغات، 2014م-2015م.